مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيــــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

الثواب والعقاب في الطاوية "دراسة تحليلية نقدية"(*)

د/ نزار بن طالب بن محمد عيسى الأحمدي
الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة -الجامعة الإسلامية
nizarta@hotmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 10/11/2023 تاريخ قبوله للنشر 6/12/2023
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

الثواب والعقاب في الطاوية "دراسة تحليلية نقدية"

د/نزار بن طالب بن محمد عيسى الأحمدي
الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة -الجامعة الإسلامية

الملخص

لا تقدم الديانات الوضعية عقائد تتصف بالوضوح، وبناء إيمان يعبر عن الغاية التي يسعى إليها الإنسان في حياته الدنيوية، والطاوية من هذه الديانات التي تكرس وجودها من أجل مشروع يُراعي تنظيم حياة الإنسان، وذلك عبر إقامة توازن بين ثنائيات متضادة كالخير والشر، وهو الأمر العجيب؛ لأن الوسط بين الخير والشر لا يُعد بأية حال فضيلة يسعد الإنسان بها، ويتخذ منها معيارًا يرتكز عليه في تأسيس حياته الإنسانية وعلاقاته مع من حوله، ونستطيع أن نفهم أن تجربة الأنسنة قائمة في الطاوية من خلال علاقة المسالمة مع الآخر، لكنها لا تجيبنا عن موقفها من الخطيئة والذنوب، ويبدو أن الوضع الفلسفي الذي تطور يومًا بعد يوم من تاريخ هذه الديانة القديمة كان المسيطر الأمر الذي آل إلى وجود عقيدة شديدة الوضوح في التناقض، ومنها علاقة الجزاء على الشر والخير؛ فقد جعلت عاقبة الشر قِصر العمر، والإصابة بالأمراض، وعاقبة الخير طول العمر، والسَّلامة من الأمراض، ومنشأ ذلك كون هذه العقيدة قائمة على إنكار البعث واليوم الآخر، ومن ثمَّ صاغت فلسفتها في قالبٍ يمزجُ بين الخرافة والعلم.

الكلمات المفتاحية: الطاوية، الجزاء، العمر، المرض، الخرافة، العلم.

Reward and punishment in Taoism "Critical Analytical Study"

Dr. Nizar bin Talib bin Muhammad Issa Al-Ahmadi
Associate Professor, College of Da'wah and Fundamentals of Religion, Department of Doctrine, Islamic University

Abstract

Positive religions do not offer doctrines that are characterized by clarity and building a faith that expresses the goal that a person seeks in his earthly life. Taoism is one of these religions that devote its existence to a project that takes into account the organization of human life, by establishing a balance between opposing dualities such as good and evil. Which is the strange thing; Because the middle ground between good and evil is not considered to be any silver state that he can be happy with, and he takes it as a standard upon which to base his human life and relationships with him. We can understand that the humanization experience exists in Taoism through a peaceful relationship with others. But it does not answer us about its position on sin and sins, and it seems that the philosophical situation that developed day after day in the history of this ancient religion was dominant, which led to the existence of a very clear doctrine of contradiction, including the relationship of reward for evil and good; It made the consequence of evil a short lifespan and disease, and the consequence of goodness a long life and safety from diseases. The reason for this is that this doctrine is based on denying the resurrection and the Last Day, and then it formulated its philosophy in a form that mixes myth and science.

Keywords: Taoism, punishment, age, illness, myth, science.

مقدمة الدراسة:

إن الحمد لله، نحمده، وستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وبعد.... فكلما حاول المرء معاودة القراءة، والبحث في الطاوية؛ وجد نفسه في غموض كبير؛ لأن الباحث يجدُ البون شاسعًا بين التنظير الجدلي، والواقع؛ حيث تفترض الطاوية وجود ما أُطلق عليه "الخير الأسمى" الذي يشبه الماء؛ لأنه يوفر الغذاء لجميع الكائنات الحية دون تحيز، فإذا عاش المرء وفقًا لمبادئها؛ فسوف يحظى باحترام الآخرين، وسيكون قادرًا على البقاء متمركزًا على الرغم من الفوضى في العالم.

والخير الأسمى للعيش – وفقًا للطاو–، أن يسعى المرء جاهدًا؛ لتحقيق التوازن من خلال الموضوعية، والأدهى من ذلك كون الطاو موطنًا لكل الأشياء، ولا يميز بين "الخير" و"الشر"، وبنفس الطريقة، يستوجب على الطاويين أن يحتضنوا كل الناس والأشياء؛ متجاهلين أي إحساس بالمنظور الشخصي، وإزالة مفاهيم "الخير" و"الشر" من عقولهم.

فبمجرد أن يكرس الإنسان نفسه للموضوعية؛ يستطيع التعامل مع التوازن الذي يخلقه الكون؛ إذ يخلق الطاو توازنًا مثاليًا – هكذا يزعمون – من خلال الأخذ ممن لديهم الكثير، والعطاء لمن لديهم القليل جدًا، فلكي تعيش ضمن الطاو، أعط للمحتاجين دون توقع، ولا تحتفظ أبدًا بالكثير لنفسك، وهذا يسمح بظهور "الصالح الأسمى"، وعلى غرار ما سبق، ففي مراحل تاريخية متعاقبة حدث نوعٌ من التلاقي بين الطاوية، والبوذية، والكونفوشيوسية على غرار الماء، كما يوفر الخير الأسمى الغذاء لجميع الكائنات الحية دون تحيز أو نية، فالطاوية هي الشغف الصيني الفريد بالحياة الطويلة باعتبارها الخير الأسمى، ولقد استمر الكهنة البوذيون والطاويون – أيضًا – في أداء طقوس الاستحقاق؛ لسداد ديون الأسلاف، وضمان ولادة جديدة سعيدة لهم، وطرد الأرواح الشريرة التي أبقت قوى الشر بعيدة، سواء بالنسبة للأفراد أو المجتمعات، وابتداءً من القرن الخامس عشر، اجتمع على معابد الأسلاف التي بنيت في قلب قرى أحادية النسب في كثير من الأحيان، لكن المجتمع الحالي يركز على المعابد، ووسائل الدين الشعبية.

أهمية الدراسة:

تمثل مسألة الجزاء على الأعمال مرتكزًا خطيرًا؛ لبيان غياب العدالة عن الفكر الطاوي، والذي بدوره نجم عن رفضهم لعقيدة البعث، واليوم الآخر.

أهداف الدراسة:

في هذه الدراسة سنحاول الإجابة على الأسئلة التالية:

١- ما هو الجزاء على الأعمال في الطاوية؟ وما المبدأ الذي تأسست عليه هذه العقيدة؟

٢- وما هي أهم المنطلقات الفلسفية التي أسست لها؟ وما موقف الطاوية من عقيدة البعث؟

٣- وكيف دعت إلى العزلة؟

الدراسات السابقة:

عرَّج البحث إلى دراسة:

- "فلسفة الأخلاق بين الكونفوشيوسية والطاوية دراسة مقارنة"، تانغ شيومي - بروفيسورة بقسم اللغة العربية بكلية الدراسات الآفروآسيوية - بجامعة الدراسات الدولية بشيآن جمهورية الصين الشعبية - مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، عدد يناير (٢٠٢١)، وهو بحث قصير جدًا؛ إذ تناول الحديث عن الفلسفة الأخلاقية للطاوية في ثلاث صفحات جعلت الأولى للحديث عن نشأة الطاوية، فضلًا عن كون البحث لم يتعرض لموقف الطاوية من الجزاء على الأعمال الخيّرة، والشريرة بوصفها منطلقًا قويًا لفلسفة الأخلاق.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي كونه المناسب لطبيعة البحث، حيث ركزت على تحليل هذه النصوص، وتوضيح مضامينها، ودلالاتها مبينًا مواضع الجدل.

وتنطلق الدراسة من مبحثين:

المبحث الأول: "الشر في الطاوية"، وبه مطلبان:

المطلب الأول: لمحة تاريخية عن الطاوية

المطلب الثاني: موقف الطاوية من الشر في حياة الإنسان

المبحث الثاني: الجزاء على الأعمال، وبه أربعة مطالب:

المطلب الاول: العزلة والتأمل

المطلب الثاني: الخلط بين العلم والخرافة

المطلب الثالث: جدلية الثواب والعقاب في الطاوية

المطلب الرابع: موقف الإسلام من الثواب والعقاب في الفكر الطاوي

الخاتمة

المبحث الأول: "الشر في الطاوية"

المطلب الأول: لمحة تاريخية عن الطاوية

كتب أحد علماء الأنثروبولوجيا الصينيين أن الدين الصيني "يعكس المشهد الاجتماعي لأتباعه، فهناك معانٍ كثيرة بقدر ما توجد وجهات نظر"(١)، ويمكن قول الشيء نفسه عن التقاليد المتنوعة التي نسميها الطاوية، ولقد تم فهم الطاوية وممارستها بعدة طرق، يعكس كل منها الوضع التاريخي، أو الاجتماعي، أو الشخصي لأتباعها، وفي حين أن هذا التنوع قد يربك ويحير المراقب الخارجي، إلا أنه يفسر مرونة الطاوية في الصين؛ إذ تُعد الطاوية قابلة للتكيف، ومن ثم تطورت لملء الفجوات الروحية التي خلقتها تقلبات الحياة.

تُعرف الطاوية في العالم من خلال كتب Chuang-Tzu And Tao Te Ching، ولا يزال تأليف هذه الكتب وسنة نشرها موضع نقاش، لكن كتاب "تاو تي كنج" للاو تسي يعود تاريخه عادةً إلى القرن الرابع قبل الميلاد تقريبًا، في حين يُعتقد أن تشانغ – تزو قد كتب في القرن الثالث قبل الميلاد، وهذان الكتابان يُمثلان مجموعة من الكتابات والقصص الطاوية، على الرغم من أن الطاوية كانت تمارس قبل فترة طويلة من كتابة هذه الكتب، هذا، وقد عاش "لاو تسي"(٢) قبل الفيلسوف الصيني "كونفوشيوس"(٣)بقليل؛ إذ عاش خلال الفترة الواقعة بين أواسط القرن السادس، وأواسط القرن الخامس قبل الميلاد، وكان مسئولًا عن إدارة الكتب والمحفوظات لأسرة "تشو"(٤)، وكان ذا معرفة واسعة، ومع اضمحلال الأوضاع في بلاط "تشو" قرَّر مغادرة العاصمة لويانغ، ولم يعلم

---

(١) See: Arthur P. Wolf, Religion and Ritual in Chinese Society, Stanford: Stanford University Press, 1974, 131.

(٢) استفدنا ترجمته من فصول من الفلسفة الصينية: مع النص الكامل لكتاب الحوار لكونفوشيوس وكتاب منشيوس، فراس السواح، مؤسسة هنداوي، (٢٠٢٢)، (ص: ٦٢)، ٦١.

(٣) الاسم كونفوشيوس هو الصيغة اللاتينية التي استخدمها الباحثون الغربيون للاسم الصيني كونغ فو تسو، والكلمة الأخيرة في هذا الاسم (تسو أو تزو) تعني المعلِّم، وكانت تُلحَق بأسماء الفلاسفة مثل لاو تسو وتشوانغ تزو وهسون تزو، أمَّا كلمة فو فتعني المبجَّل، كانت ولادته عام (٥٥١ق.م)، وهو ينتمي إلى أسرةٍ نبيلةٍ تصلها أواصر قربى بأسرة شانغ الملكية، ولكنها قبل ولادة كونفوشيوس كانت قد وصلت إلى حالةٍ من العوز قادتها إلى الرحيل إلى دولة لو الصغيرة للاستقرار هنا، معلوماتنا عن سيرة حياته مستمدَّة من سِجلاتٍ تاريخيةٍ تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد؛ فقد عاش حياةً متواضعةً خلال طفولته ومطلع شبابه، ولكنه حصَّل تعليمًا عاليًا بجهوده الخاصة ودون معلِّمٍ نظامي، وهذا ما أهَّله للحصول على وظيفةٍ إداريةٍ في دولة لو، فكان مسئولًا عن حسابات الحبوب وحيوانات القربان، وبدأ يكتسب التلاميذ كمعلم، بعد ذلك رحل إلى دولة تشي القريبة حيث قدَّم المشورة لحُكَّامها، ثم عاد إلى دولة لو وتزايد تلاميذه، في سن الخمسين عُيِّن قاضيًا ثم وزيرًا للعدل في لو، ولكنه استقال من منصبه عندما لم يفلح في إصلاح الأمير، وغادر الإمارة وتجوَّل لمدة (١٣) سنةً في تسع مقاطعات باحثًا عن فرصةٍ لتحقيق مبادئه في السياسة، والإصلاح الاجتماعي، ولكنه فشل، فعاد إلى موطنه حيث تُوفي بعد ثلاث سنواتٍ في سن الثالثة والسبعين عام (٤٧٩ق.م)، اقتبسنا ترجمته من الفلسفة الصينية: مع النص الكامل لكتاب الحوار لكونفوشيوس وكتاب منشيوس، فراس السواح، مؤسسة هنداوي،(ص:٣١).

(٤) في عام (١٠٢٧ق. م)، قامت أسرة تشو Chou بالقضاء على أسرة شانغ Shang، وانتقلت معها الصين من العصر الحجري إلى عصر المعادن والتمدُّن، وأسَّست أول دولةٍ في وسط الصين كانت عاصمتها إينانج في مقاطعة هونان الحالية. وقد استمرَّ حكم أسرة تشو حتى عام (٢٢١ق.م)، وهي التي أسَّست النظام الإقطاعي في الصين؛ فقد قام ملوكها بتوزيع الأراضي التي اكتسبوها من أسرة شانغ على أتباعهم وأقربائهم، فصارت ملكيةً وراثيةً لهم، وجرى تقسيم البلاد إلى عددٍ كبير من الإقطاعيات، وبذلك تمَّ التوحيد بين السلطة السياسية وملكية الأراضي، وصار مالكو الأرض هم سادتها من الناحيتَين السياسية والاقتصادية.
انظر: فصول من الفلسفة الصينية: مع النص الكامل لكتاب الحوار لكونفوشيوس وكتاب منشيوس، فراس السواح، مؤسسة هنداوي، (٢٠٢٢)، (ص: ٢٧).

أحدٌ وجهتَه، وقال البعض إنه عاش ستين عامًا، في حين ذهب آخَرون إلى أنه عاش مائتَي عام، وفي نهاية عهد أسرة هان، تم افتتاح أولى مدارس الطاوية الدينية.

وبحلول القرن الثالث قبل الميلاد، تم توظيف الأفراد الذين لديهم معرفة بتقنيات (الخلود) في البلاط الإمبراطوري مع بداية العصر المشترك، تم ترقية لاو تسي إلى مرتبة "اللورد الأعلى ليو"، لقد ألهمت الفوضى التي اندلعت في نهاية عهد أسرة هون الآمال المنتظرة من جانب مجموعات تدعي الوحي من لاو تسي، إحدى هذه المجموعات كانت العمائم الصفراء، فلقد بشروا بقدوم العصر الذهبي، وتمردوا في شرق الصين عام (١٨٤م)، لكن تم سحقهم على الفور، وفي نفس العام تم إنشاء مجموعة جديدة عُرفت ب "السادة السماويين"، في سيشوان، وقد كان المؤسس والسيد السماوي (القائد) للمجموعة تشانغ تاو لينغ في عام (٢١٥م)، قبل السيد السماوي تشانغ لو سلطة جنرال هان كاو كاو الذي أسس بعد ست سنوات أسرة وي، مما أدى إلى الاعتراف الرسمي بالمجموعة من قبل الأسرة الحاكمة، وكان دور السادة السماويين هو تقديم التأكيد والدعم السماويين بتشجيع من أيديولوجية التسوية هذه، وقد حققت المجموعة تقدمًا مستمرًا في بلاط سلالتي وي وجين الغربية، وبحلول نهاية القرن الثالث، انضمت العديد من أقوى العائلات في شمال الصين إلى المجموعة أرسى "لاو تسي" قواعدَ فلسفته الطاوية في مُؤلَّفاته التي كتبها، وكانت بمثابةِ مَرجعٍ دينيٍ يرجع إليه الشعب الصيني؛ ليَنهلوا منه مبادئَهم، وقِيَمهم، ومن أبرز هذه المؤلَّفات: كتاب "الطاوية"، و"الأخلاق"، و"الحكماء يتكلمون"، و"تاو تي كنج" (الطريق والفضيلة)، وغيرها من المؤلَّفات التي أرست دعائمَ فلسفةٍ مهمة ما زال صداها يَتردَّد حتى الآن، وتُعد الفلسفة الطاوية الكلاسيكية التي صاغها لاو تسي – المعلم القديم في القرن الخامس قبل الميلاد – بمثابة إعادة تفسير وتطوير لفلسفة الطاوية القديمة؛ إذ كانت تعبر عن تقليد مجهول لعبادة الطبيعة، والتمرس بالعرافة، والكهانة، ولقد عاش لاو تسي في زمن الاضطراب الاجتماعي والشكوك الدينية الكبيرة، وقام بالتنظير لمفهوم الداو (الطاو – الطريق، أو المسار)(١) باعتباره أصل كل الخلق والقوة – التي لا يمكن معرفتها في التاريخ جوهره ولكن يمكن ملاحظته في مظاهره – الذي يكمن وراء وظائف العالم الطبيعي وتغيراته، لقد رأى في الداو والطبيعة أساس النهج الروحي للحياة، ونستطيع أن نقول إن تفسيره تم وضعه؛ بُغية التأكيد على أنه لا يمكن لحياة الإنسان الصحية أن تزدهر إلا بالتوافق مع الداو – الطبيعة، والبساطة، والنهج الحر والسهل في الحياة.

المطلب الثاني: موقف الطاوية من الشر في حياة الإنسان

إن منشأ الشر الكوني أو الإنساني يأتي من عملية التمايز أو الانفصال؛ حيث يتمتع الطاو بثنائية القطبية في بنيته الميتافيزيقية: الين واليانغ، يقول **لاو تسي** في "طاو تي تشينغ":

تاو تلد واحدًا، وواحدًا ينجب اثنين، واثنان ينجب ثلاثة، ثلاثة تلد عشرة آلاف كائن، يحمل عشرة آلاف كائن الين على ظهورهم، ويحتضنون اليانغ في المقدمة.

---

(١) الكلمة في اللغة الصينية تعني الطريق أو الطريقة؛ فهي أقرب إلى الكلمة الإنكليزية way التي تتضمَّن المعنيين، فنقول This is the way to Damascus، ونقول أيضً This is my way of doing things: أي هذا هو الطريق إلى دمشق، وهذه طريقتي في العمل؛ فال «تاو» هو طريق الطبيعة أو الطريقة التي ينشط بها الكون، وليس اسمًا بل إشارة إلى المبدأ الأول أو الشمولي الذي نجم عنه كل شيء؛ فالاسم يدل على شيءٍ محدَّد معروف وموصوف، أمَّا التاو فصيرورة دائمة التدفُّق والجريان تأبى على التسمية وعلى الوصف أيضًا، ونحن لا نستطيع وصفها إلا من خلال وصف الطريقة التي تُفعل بها .

انظر: فصول من الفلسفة الصينية: مع النص الكامل لكتاب الحوار لكونفوشيوس وكتاب منشيوس، فراس السواح، مؤسسة هنداوي، (٢٠٢٢)، (ص: ٦٣).

ومزج هذين التنفسين الحيويين يُحقق الانسجام(١).

وهنا يمثل الين واليانغ اتجاهين(٢)، أو حركتين للطاو: الإبداع والتقبل، كل الأشياء تأتي من مزج هاتين الحركتين، وفي عملية التمايز أو الإنجاب يسمى الامتزاج المتناغم بالحسن، والغير المتناغم يسمى الشر، ومما يجدر الإشارة إليه أنَّ الخير والشر نسبيان، تمامًا كما أن الين واليانغ نسبيان، وكما أن الين واليانغ مكونان لا مفر منهما للواقع، فإن الخير والشر لا مفر منهما أيضًا على المستوى الكوني – هكذا يرى الطاويون.

في الميتافيزيقا الطاوية(٣)، يعتبر الين واليانغ بمثابة متضادين يُكملان بعضهما؛ للتوحد مع الطاو ككل في نهاية الأمر، وفي هذه النظرة الجمالية المحايدة من حيث القيمة من الصعب القول إن لاو تسي كان مهتمًا بالشرور الطبيعية، وبنفس الطريقة، فإن ما إذا كانت هناك معاناة طبيعية في فكر لاو تسي ليس سؤالًا سهلًا للإجابة عليه، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أنه لا يتعامل بشكل صريح ومباشر، ولا يقدم لنا أفكاره بوضوح، بمتابعة ما كتب في الطاوية نستطيع إعادة تصنيف الشر الذي تم ذكره لدى منظري الطاوية إلى نوعين: الشرور التي تنتج عن أفعال الإنسان الحرة (الشر الأخلاقي)، وتلك التي هي جزء من الطبيعة (كوارث ومصائب)، الشر من صنع الإنسان.

---

(١) See: Lao Tzu: Tao Te Ching; translated with an introduction by D. C. Lau. Penguin Books, Middlesex. New York: Columbia University Press, 1978, 42:93-94.

(٢) مدرسة اليانغ–ين التي استمدَّت اسمها من كتاب التغيُّرات الذي يقول بوجود قوتَين هما قوة اليانغ وقوة الين؛ الأولى موجبة والثانية سالبة، ومن تفاعل هاتَين القوتَين تنشأ الآلاف المؤلَّفة من مظاهر الكون والطبيعة، وقد اهتمَّ معلِّموا هذه المدرسة بنظرية نشوء الكون، وعلم الفلك، ومراقبة حركات الأجرام السماوية، ودورة الفصول، وتقسيم الزمن، وما إلى ذلك، كما مارسوا العرافة والسحر☯(رمز اليانغ–ين).
انظر: فصول من الفلسفة الصينية: مع النص الكامل لكتاب الحوار لكونفوشيوس وكتاب منشيوس، فراس السواح، مؤسسة هنداوي، (٢٠٢٢)، (ص: ٢٨).

(٣) في حين لم تكن هناك كلمة تقابل على وجه التحديد مصطلح "الميتافيزيقا"، فإن الصين لديها تقليد طويل من البحث الفلسفي الذي يهتم بالطبيعة النهائية للواقع – كينونته، وأصوله، ومكوناته، وطرق تغييره، وما إلى ذلك، وبهذا المعنى، يمكننا أن نتحدث عن الميتافيزيقا في الفلسفة الصينية، حتى لو كانت الأسئلة والمواقف الخاصة التي نشأت تختلف عن تلك السائدة في أوروبا، ظهرت المناقشات الميتافيزيقية الصريحة في الصين مع التحول نحو مسائل نشأة الكون في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، تعبر نظريات نشأة الكون هذه عن وجهات نظر أصبحت أساسية لجميع الميتافيزيقا اللاحقة تقريبًا في الصين، في هذه النصوص، كل الأشياء مترابطة ومتغيرة باستمرار، إنها تنشأ تلقائيًا من مصدر نهائي (يُسمى غالبًا داو الطريق أو الدليل) الذي يقاوم التشييء ولكنه جوهري في العالم ويمكن للأشخاص المثقفين الوصول إليه، الحيوية والنمو هما طبيعة الوجود، ويظهر العالم الطبيعي أنماطًا متسقة يمكن ملاحظتها واتباعها، على وجه الخصوص، الأنماط الدورية القائمة على التفاعل بين القوى القطبية (مثل ين ويانغ).
وتختلف هذه النظرة عن الافتراضات التي هيمنت على التفكير الميتافيزيقي في أوروبا بعد دخول المسيحية: الاعتقاد بأن المبدأ النهائي للعالم متعال ولكنه مجسم (كما يصنع البشر على صورته)، وأن أشياء العالم تنشأ من خلاله، التصميم، وأن العالم يتكون من مواد متميزة وجوديًا، لقد تم رفض هذه الافتراضات على نطاق واسع من قبل الفلاسفة على مدار القرن العشرين، وفي التقليد الصيني نرى احتمالًا واحدًا لما قد تبدو عليه الميتافيزيقا إذا لم تكن تعتذر عن مثل هذه الآراء أو تتفاعل معها، هذا لا يعني أن الميتافيزيقا الصينية متجانسة أو ليس لديها مشاكلها الخاصة، بدلًا من ذلك، يمكننا القول أنه في حين أن الميتافيزيقا الأوروبية كانت تميل إلى التركيز على مشاكل التوفيق (كيف يمكن أن تتفاعل الأشياء المتميزة وجوديًا؟)، فإن الميتافيزيقا الصينية كانت أكثر اهتمامًا بمشاكل التمييز، تدور المشاكل الأكثر مركزية حول حالة الأشياء الفردية، والعلاقة بين أنماط الطبيعة والقيم الإنسانية على وجه التحديد، وكيفية فهم الأساس النهائي للعالم بطريقة تتجنب التشيؤ أو العدمية، وتصبح هذه مشاكل على وجه التحديد بسبب الافتراضات الأساسية للشمولية والتغيير.
For more information see: STANFORD ENCLOPEDIA OF PHILOSOPHY, *Metaphysics in Chinese Philosophy*, *First* published Thu Apr 2, (2015); substantive revision Mon Oct 16, (2023). https://plato.stanford.edu/search/r?entry=/entries/chinese-metaphysics/ تاريخ الاسترجاع٣٠أكتوبر٢٠٢٣

يعترف لاو تسي بنوعين من الشرور التي من صنع الإنسان، **النوع الأول** هو الذي يسبب معاناة الإنسان في العالم (الشرور السببية)، من المفترض أنها تنشأ في استخدام الإرادة البشرية، **النوع الثاني** من الشرور هو الآلام الإنسانية التي يسببها النوع الأول (الشرور التبعية)، ويبدو أن فلسفة لاو تسي في الطاو تهتم بشدة بالقضاء على هذه الشرور من العالم.

ويمكن أن تكون العلاقة بين الشر المسبب والشر (الشرور) التبعية علاقة معقدة، لكن لاو تسي يرى عمومًا وجود علاقة سببية بسيطة وواضحة بينهما، وفي تصوري أن جميع الشرور السببية التي تهم لاو تسي تنشأ من استخدام الإرادة البشرية وأن جميع الشرور الناتجة هي معاناة من نوع ما، هذا يعني أنه ليست كل الشرور معاناة؛ لأن هناك شرورًا ليست معاناة في حد ذاتها ولكنها أسباب المعاناة(١).

علاوة على ذلك – على عكس الشرور السببية – لا ينبغي إدانة المعاناة أو التنديد بها، ربما قال لاو تسي أننا يجب أن نغفر للناس شرورهم السببية أو أن نعاملهم بروح الطاو الشاملة، ولكن – كما يرى أحد الباحثين – ما من شك في أن الشرور السببية أكثر شرًا من الشرور التبعية(٢).

وعلى هذا الرأي، فمن المفترض أن تنشأ الشرور السببية من استخدام الإرادة البشرية، وعلى افتراض أن كل الأشياء التي ينتجها الطاو جيدة، ليس هناك سبب وجيه للقول بأن إرادة الإنسان نفسها، التي من المفترض أن ينتجها الطاو شريرة، ولكن من الممكن القول إن استخدام الإرادة هو مصدر الشرور السببية، ما إذا كان التمييز بين الإرادة نفسها واستخدامها بشكل صحيح سيترك دون إجابة هنا، والسؤال المهم الذي يجب أن نطرحه هو: هل كل استخدام للإرادة شر؟ هذا ليس بالسؤال السهل للإجابة عليه، بشكل عام، يمكننا القول أن استخدام الإرادة يكون شريرًا فقط إذا تم استخدامه ضد طبيعة الفرد الحقيقية، أو ضد الأشخاص الآخرين، أو العالم الطبيعي، في لغة لاو تسي، يعد استخدام الإرادة شرًا إذا تم استخدامه ضد طبيعة الطاو وعملياته في الكون، يمكننا أن نسمي هذا الاستخدام للإرادة الاستخدام الحازم للإرادة، ومن ناحية أخرى، فإن استخدام الإرادة ليس شرًا إذا تم استخدامه لمقاومة تأكيد شيء ما بالطريقة الموصوفة أعلاه، أو بشكل أكثر إيجابية، إذا تم استخدامه لمتابعة الطاو وعملياته في الكون؛ لذا يمكن أن نسمي هذا الاستخدام غير الحازم للإرادة(٣).

يرى لاو تسي أن كل المعاناة في العالم من المفترض أنها من صنع الإنسان أي أنَّ الآلام الجسدية، أو العقلية في الكون نتيجة أفعاله هو(٤).

(1) *See:* Sung-peng Hsu"Lao Tzu's conception of evil", *Philosophy East and West*, 26 (3):302. (1976).
(2) *See:* Sung-peng Hsu" Lao Tzu's conception of evil , 302.
(3) *See:* Sung-peng Hsu" Lao Tzu's conception of evil , 302.
(4) *See:* Sung-peng Hsu" Lao Tzu's conception of evil , 307.

المبحث الثاني: الجزاء على الأعمال

المطلب الاول: العزلة والتأمل

يقوم الفكر الطاوي على أســـاس نزعة التأمل وحب العزلة، وهو جانب ســـلبي إزاء التعامل مع القضـــايا الاجتماعية، وتم صـبغ هذا المبدأ بطابع ديني، فالشـرور المحدقة بنا يمكن تلافيها – من خلال هذا المعتقد – باتباع الطاو، وحينها كل الأمور ستصبح سواء؛ لأنَّ "كل الأشياء ستأخذ أماكنها المناسبة تلقائيًا"(١)، وسوف "تتحول من تلقاء نفسـها"(٢)، بل "سـتتحد السـماء والأرض؛ لتقطرا ندىً حلوًا، ويقطر الندى من تلقاء نفسـه دون تدخل إنسـان"(٣)؛ وذلك لأن الطاو هو مصـدر ومبدأ النقاء والطمأنينة والقوة الروحية، والحياة، والسـلام في العالم(٤)، ولا يمكننا تحديد أي معاناة لم يتم تفسـيرها على أنها من صـنع الإنسـان، ومن الواضـح منه حقيقة كونه لا يتعامل مع المعاناة الطبيعية ليس لأنه غير مهتم بها، ولكن لأنه لا يمكن أن يوجد شيء من هذا القبيل في تصوره للعالم.

وعندما يكون الطاو مليئًا بالقوة، يكاد يكون من المســـتحيل أن تتدخل الإرادة في عملياته، "إذا حاول أحد أن يقطع الخشـــب للنجار الماهر، فكيف يمكن أن يتجنب إيذاء يديه؟"(٥)، ولكن عندما يكون الطاو في تراجع، فإن الإرادة ستكون في وضع أفضل للقيام بذلك، ومع ذلك، هناك سبب آخر يجعل الإرادة – في فلسفة لاو تسي – حرة من حيث المبدأ في التدخل في الطاو، ففي تصـــوره للكون، لا توجد "قوانين" خارجية أو أبدية للطبيعة، والتي من شـأنها أن تتوافق معها كل الأشياء، فمبادئ التغيير هي قوانين داخلية من المفترض أن تنشـأ تلقائيا عندما تتوفر الظروف الملائمة لذلك، ومن المؤكد أن هناك نوعًا ما من السـببية في فكر لاو تسـي، لكنه شـيء أقرب إلى مفهوم هيوم، وليس إلى نيوتن(٦).

ومن المهم أن نلاحظ أن لاو تسي ليس لديه أدنى شك في أن الإرادة حرة في التدخل في الطاو، لكنه يخشى أن يؤدي اسـتخدام الإرادة إلى معاناة العالم، وتحويل الكون العفوي إلى عالم آلي مقيد بالقوانين والفضـائل، وتوجد نصـــوصٌ كثيرة تدعم العزلة والتأمل، والبعد عن التجمع منها ما جاء بصـــورة أوامر مباشـــرة: صـــوموا واغتســـلوا واضـطجعوا ثلاثة أيام دون خروج، ثلاث مرات في اليوم، ادعوه، تسـع مرات في المجموع، إذا قمت بذلك دون أن تفشل، فلن تتمكن أرواحك من الهروب، وسيتم تسجيل اسمك في سجل الخلود، وسيتم تأكيد وضعك كشخص حقيقي(٧)، في نقطة أخرى من النص، يتم وصـف هذه الخلوة السنوية بمزيد من التفصيل: يوجه الطاوي صلاته من أجل الخلود إلى المفتش العام الإله الأصـفر، وهذا الإله، الذي قد يبدو وكأنه تعبير أرضي عن رب السـماء، أو ربما

(1) See: Lao Tzu: Tao Te Ching; translated with an introduction by D. C. Lau. Penguin, chapter 32.
(2) *See: Lao Tzu: Tao Te Ching, chapter 37.*
(3) *See: Lao Tzu: Tao* Te Ching, chapter 32.
(4) See: Lao Tzu: Tao Te Ching, chapter 39.
(5) See: Lao Tzu: Tao Te Ching, chapter 74.
(6) See: Sung-peng Hsu" Lao Tzu's conception of evil , 313.
(7) *See:* Lagerwey, John. "Deux écrits taoïstes anciens," Cahiers d'Ex- trême-Asie. (2004). 14. 152.

حتى رب السماء نفسه، هو الذي يدخل جسد البارع لتفقده: "لا يمكن لأحد من أرواحي أن يهرب، يجب على الجميع أن يأتوا لمقابلته"، ومن أجل جعلهم يأتون لمقابلة الإله الأصفر، يدعو الطاوي جميع الأرواح في جسده – من الأعلى إلى الأسفل – ثلاث مرات يوميًا، وينتهي في كل مرة بهذه الصلاة: "سيدة السجل، يا عذراء اليشم"، امسح اسمي من قائمة الموتى، واكتبه في تقويم الخلود اليشمي"(١).

المطلب الثاني: الخلط بين العلم والخرافة

لم تظهر الديانة الطاوية إلا في القرن الثاني الميلادي، وبالتالي فإن أقدم فترة لدينا نصوص عنها هي أسرة شانغ (١٣٥٠-١٠٥٠ قبل الميلاد)، والتي كانت إحدى خصائصها الأساسية هي العرافة لتحديد المسار الصحيح للعمل، وسواء كان الأمر للذهاب إلى الحرب، أو للحصول على محصول جيد، أو لوضع حد لألم أسنان الملك، كان العرافون يعدون دروع السلاحف أو كتف الماشية، ويضعونها في النار، ثم يحصلون على إجابة سؤالهم من خلال قراءة الشقوق التي ظهرت حول ثقب صغير تم ثقبه في الدعامة أو لوح الكتف؛ لتخبر هذه الشقوق العرافين ما إذا كان من الميمون الذهاب إلى الحرب أم لا، أو الصلاة وتقديم التضحيات لهذا الجد، أو ذاك حتى يتوقف ألم الأسنان أو أي مرض آخر، وحتى الأمور المتعلقة بالطقس، والحصاد، أو الحرب والسلام – باختصار المناخ والدولة – في أيدي "الآلهة"، وقرره في النهاية الإله الأعلى دي، الذي لم يكن من الممكن مخاطبته بشكل مباشر، فقد كان على ملوك شانغ أن يطلبوا من أسلافهم أن ينقلوا همومهم إلى الإله الأعلى، وبدورهم، كان يتم اللجوء إلى الأسلاف بشكل متكرر في الأمور المتعلقة بالصحة والمرض، والأسلاف الإناث للحصول على ولد(٢).

وظل الأسلاف الساخطون أو الذين يعانون حتى يومنا هذا مصدرًا محتملًا لتفكك الأسرة أو حتى المرض، فإن دورهم في التسبب في المرض قد انخفض بشكل حاد بحلول الوقت الذي ولدت فيه الطاوية كدين في منتصف القرن الثاني.

بحلول ذلك الوقت، كان عالم كامل من "الشياطين" قد ظهر، وفي كثير من الأحيان، كان يُعتقد أنهم مصدر المرض أو الخلل الوظيفي؛ حيث كان هناك شياطين الجفاف، وأرواح "الأشياء" – الصخور والأشجار والأشياء، والجبال، والأنهار، والضباب، وأرواح الموتى التعساء الذين يمكن أن يسببوا مشاكل من كل الأنواع، والذين كان لا بد من استرضائهم بالتضحيات الدموية حتى يتركوا الأحياء وشأنهم، أو حتى يجلب لهم الحظ السعيد، كما ظهر أيضًا الشعور بالذنب/المسؤولية، والذي ولّد بيروقراطية كاملة في العالم الآخر تضاهي بيروقراطية هذا العالم، كانت هذه البيروقراطية الدنيوية مكونة من عنصرين: عنصر سماوي وآخر تحت الأرض، وقد عاش أبناء الأرض بينهما، ولتوضيح ذلك نعود لعام (٧٩ق.م) من العلاقات بين هذين العالمين، فمن خلال اكتشاف أربعة عشر وثيقة من الخيزران تقدم وصفًا للتضحيات التي قدمتها الأسرة لصالح أم مريضة، وهذه القرابين موجهة إلى آلهة الأرض في الأسرة، وإله الموقد، وروح الماء، ومن الواضح أنها تعتبر قادرة على تحقيق الشفاء للمرأة وإرجاء التنفيذ؛ لأنها يمكن

(1) *See:* Lagerwey, John. "Deux écrits taoïstes anciens,". 163.

(٢) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام، ومراجعة د. عبدالغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، مايو (١٩٩٣)، (ص: ٢٢).

أن تسبب لها ولعائلتها مشكلة إذا لم يتم تقديم جميع التضحيات الموعودة، وهكذا تبدأ زلات الخيزران بطلب الشفاء وتنتهي بالإعلان عن تقديم جميع القرابين الموعودة، بحيث لا ينبغي اعتبار الشخص المتوفى، أو أفراد أسرته "مدينين" عندما تمثل المرأة المتوفاة أمام رب السماء؛ لإعطاء المحاسبة(١).

ولكن أي نوع من الحساب؟، لا تخبرنا هذه الوثائق، لكن وثائق أخرى لتلك الفترة تشير إلى أن المراجعة القضائية لذلك حدثت مباشرة بعد الوفاة بهدف تحديد ما إذا كان الشخص "يستحق" الموت، أي ما إذا كان وقتها قد حان أم لا؛ إذ كان لكل شخص فترة زمنية مخصصة عند الولادة، ويمكن زيادة أو تقليل هذه الفترة الزمنية؛ اعتمادًا على سلوك الشخص، فالسلوك الجيد يشمل السلوك الاجتماعي السليم، ومراعاة المحرمات بجميع أنواعها – فيما يتعلق بالتقويم، والأرض، وما إلى ذلك – والعبادة الصحيحة للآلهة، وقد كانت العلاقة مع الآلهة علاقة تعاقدية، حيث كانت هناك تضحيات منتظمة مقابل الحماية المنتظمة وتضحيات غير عادية في وقت المرض أو أي مصيبة أخرى.

إن أداء الفرد لواجباته الاجتماعية والدينية وحده يبقي سجله خاليًا من الديون، ومما لا شك فيه أن هذه النظرة الصينية الغريبة للحياة هي الخير والموت الشر هو ما يفسر ظهور أشكال الثقافة الذاتية التي تهدف إلى إطالة الحياة وحتى تحقيق الخلود في القرون الثلاثة الأخيرة قبل عصرنا: الذهاب إلى التلال للعيش كناسك؛ ليحل محل النظام الغذائي القياسي من الحبوب مع أحد العناب، أو بذور الصنوبر، أو حتى من "الهواء"، ومجموعة من الأعشاب الطبية، وخليط من إكسير ذو أساس معدني، وممارسة الجنس الشعائري، والعمل العقلي على الطاقات (تشي) في الجسم، "أساليب التمدد والسحب في الجمباز، وما إلى ذلك.

وبحلول القرن الثاني الميلادي، وصلت هذه الممارسات إلى درجة من التنظيم بحيث أصبح الممارسون منظمين في الأنساب وحتى المجتمعات: ولدت الطاوية، ستعمل خمسة نصوص أو مجموعات من النصوص الطاوية المبكرة على اكتساب نظرة ثاقبة في الطاوية، الخلود في المقام الأول – مسألة عدم الموت – ويتم تحقيقه عادة من قبل النساك الذين ينخرطون في أشكال مختلفة من التثقيف الذاتي، ومع ذلك، سرعان ما أصبح "الخالدون"، بالنسبة للشعب، آلهة محلية (أو قديسين)، يُصلى إليهم من أجل كل أنواع الحماية والحظ السعيد، وفي داخل النظام الطاوي المتطور نفسه، أصبحوا مسؤولين في الجزء السماوي سريع التوسع من بيروقراطية العالم الآخر، وعلى هذا النحو، فإنهم يشتركون في السيطرة على العالم السفلي – وهو الجزء الشيطاني من هذه البيروقراطية – وهي حقيقة تساعد في تفسير سبب نظر الناس إليهم كآلهة.

---

(1) See: Harper, Donald. “Contracts with the Spirit World in Han Common Religion: The Xuning Prayer and Sacrifice Documents of A.D. 79.” Cahiers d’ Extrême-Asie. (2004).14. 227-67.

هذا المقال عبارة عن ترجمة ودراسة لأربعة عشر بطاقة خشبية يرجع تاريخها إلى عام ٧٩ قبل الميلاد، والموجودة في مجموعة جامعة هونغ كونغ الصينية Wenwuguan، حيث تمثل البطاقات نوعين من العقود الدينية المعدة لامرأة تدعى شونينغ أثناء مرضها وبعد وفاتها، وقد تم استخدام بطاقات Xuning جنبًا إلى جنب مع الصلوات والتضحيات، تربط كل بطاقة مشاركًا من عالم الروح بالعقد، حيث تقدم البطاقات شهادة قيمة عن الدين اليومي أو "الدين المشترك" للنخبة في القرن الأول الميلادي، وتوضيح الأفكار والممارسات التي تشكل خلفية الديانة الطاوية.

"اجعل العقل في سلام"[١] هكذا قال لاو تسي، وهو موقف معزز لانتشار الخرافات حين رفض العقل كمبدأ للحصول على المعرفة.

وفي تصوري أنهم يرفضون التشريعات والقوانين، وما إلى ذلك من مظاهر المدنية؛ لأنها تبعدهم عن رغبتهم في التأمل، حيث يرون أنها أفسدت فطرة الإنسان الذي ولد خَيِّرًا، إن مثلهم الأعلى في ذلك هو في العودة إلى النظام الطبيعي المتميز بنقاء الفطرة وسلامتها وفق الطاو.

المطلب الثالث: جدلية الثواب والعقاب في الطاوية

ليس لدى الطاويين إيمان ببعث أو حساب، وإنما يُكافأ المحسن بالصحة وطول العمر، بينما يجازى المسيء بالمرض والموت المبكر، ومن هنا يتضح سبب الاهتمام في البحث عن إكسير الحياة[٢]، والذي كان عاملًا مهمًّا في تقدم الطب والكيمياء على أيديهم فضلًا عن السحر والشعوذة والدجل مما أدى إلى ثراء الكهنة ثراءً فاحشًا؛ إذ اهتم الطاويون بطول العمر، واعتبروا التقدم في السن دليلًا على القداسة حتى صار من أهداف التصوف الطاوي السعي لإطالة العمر والخلود، وقد ذهب بعضهم إلى ادعاء إمكانية إطالة العمر مئات السنين، وأفضل الخالدين – في نظرهم – هم الذين يصعدون إلى السماء في وضح النهار، وهذا الخلود من الممكن أن يتم بواسطة تدريبات ورياضات خاصة جسدية وروحية كما يزعمون، ولا يفوتنا أن نؤكد توجهات التاوية للحديث عن وجود آفات تأكل الناس؛ بسبب المسؤولين الصغار عديمي الفضيلة الذين يستمرون في الانتشار ويشبهون الآفات، وإذا لم تكن هناك أمراض، فهذا يدل على أن الناس الطيبين في مناصبهم[٣].

فلا يرجع الشر في العالم إلى الحكومات السيئة فحسب، بل أيضًا إلى سوء السلوك الفردي المتمثل في اكتناز الثروة والحكمة، والافتقار إلى بر الوالدين، وعدم الإنجاب، وتقديم القرابين الفخمة بشكل مفرط للأسلاف، وشرب الكحول، وقتل البنات، كلها أمور مذكورة، كما نجد تأكيد قوي جدًا على الحاجة إلى تداول الخير والحكمة والطاقة، وعلى الحاجة إلى مجموعات ثلاثية – السماء، الأرض، الإنسان؛ الملك ووزرائه والشعب، الطاقات الثلاث الأساسية – أن تكون في وئام.

إن السبب وراء معارضة تقديم القرابين المفرطة للأموات مثير للاهتمام بشكل خاص: "لن يتمكنوا من أكلها كلها، وستكون الشياطين هي التي تأتي؛ لتأكل الفائض وتتسكع بعد ذلك؛ لإزعاج الأحياء والموتى"، تجعلهم مرضى[٤]، وبطبيعة الحال، نجد عالم الموت والعقاب عالم سفلي للين العظيم، وذلك عندما يصل عدد كبير جدًا من التقارير عن سوء سلوك شخص ما إلى قاعة السطوع.

---

(١) الطريق إلى الفضيلة. لاو تسي، ترجمة علاء الديب. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، (١٩٩٨)، (ص:٢١).

(٢) الأديان في الصين. سانغ جي، ترجمة تشنغ بوه، وآخرون. دار النشر الصينية عبر القارات: (٢٠٠٤م)، (ص:٨٤).

(3) See: Kaltenmark, Max, "The Ideology of the *T'ai*-p'ing ching." In: Holmes Welch and Anna Seidel (eds). Facets of Taoism: Essays in Chinese *Religion*. New Haven: Yale University Press. (1979). 28.

(4) See: Kaltenmark, Max, "The Ideology of the T'ai-p'ing ching." 36.

والطريقة الوحيدة للخروج من هذه النهاية القاتمة هي "التأمل في أخطائك" والتعبير عن الندم بحيث يتحدثون وهم يذرفون الدموع بشكل متكرر، ويطلبون من السماء أن تغفر لهم ذنوبهم، ويصفعون أنفسهم ويتوسلون للشفقة، ونحو الأرض، حيث يطرقون الأرض بجبهتهم، دون تجنب شظايا الحجر، وسط القذارة[١].

وتؤكد النصوص اللاحقة الانطباع بأن الشغل الشاغل لأتباع هذا الطريق هو المرض وكيفية الشفاء منه.

قانون لينجباو: في حوالي عام (٤٠٠م)، حدث اكتشاف جديد هائل للنصوص الطاوية، ثم حدث اكتشاف آخر حوالي عام (٤٢٠م)، أنتج الأول قانون "لينجباو"، وهو مجموعة من النصوص التي تقوم الماهايانا البوذية بتحليلها وأهدافها – الكارما، والانتقام، الخلاص العالمي – تم دمجها في الطاوية، ويتضمن– في المقام الأول– الطقوس مصممة "لفدية وإنقاذ جميع أرواح الموتى، لتمكينهم من مغادرة الليل الطويل للظلام التسعة، والدخول إلى النور، والولادة من جديد في عائلة ثرية"[٢].

واعتمد نظام Lingbao وقام على المراقبة والعقاب الإلهي بشكل أكثر شمولًا من نظام السادة السماويين، مع قوائم طويلة من القواعد التي يجب مراعاتها وتلاوة ابتهالات لا نهاية لها من الاعترافات؛ فلقد تطلب الأمر من ذوي الخبرة الكاملة الانخراط في الصيام المنتظم وتلاوة هذه الأدعية، وكان تقويم أيام الصيام يشتمل على أيام المفاصل الثمانية وغيرها الكثير، بل كان كل شهر عشرة، وكل يوم صيام يتطلب ستة تلاوات في اليوم، فإن السماء ترسل إلى العالم وكلاء المكاتب الستة ليرى ما يفعله الناس من خير وشر.

باختصار، كانت العروض الطقسية لا تزال تحدث كلما كانت عمليات التفتيش الإلهية جارية، لكن عدد عمليات التفتيش هذه كان يتزايد بشكل كبير الأمر الذي يعني بالطبع التمييز بين العلمانيين ورجال الدين، كانت كنيسة لينجباو أكبر بكثير من تلك الموجودة في طريق السادة السماويين؛ إذ في البداية ظهرت إلى الوجود مجتمعات رهبانية ومن ثم مجتمعات رهبانية كاملة، وانخرطوا بشكل أو بآخر في الصلاة والاعتراف من أجل الآخرين، وكما هو الحال في الكنيسة البوذية المعاصرة، وكان الأعضاء العلمانيون يدفعون المال مقابل أداء طقوس كان غرضها كسب الجدارة، وخاصة بالنسبة للمتوفين من الأسرة، بحيث لا يحتاجون إلى المعاناة لفترة طويلة فيما أصبح الآن مطهر كامل، مع أساليب عقاب أسوأ من تلك التي كانت تتبعها الإدارة الإمبراطورية، هذا وقد ارتبطت الموجة الثانية من النصوص الجديدة بالعودة المأمولة للمسيح الإمبراطوري الذي سيطرد البرابرة من الشمال المحتل ويستعيد السلام العظيم، وذلك عندما يذهب اللورد المثالي– سليل الجيل الأخير من أسرة ليو– إلى تشانغآن ليحكم كإمبراطور، سيتم إعادة إنشاء التقويم، هذا الملك المستنير سيقود حكومة حضارية، وسيعود السكان المهاجرون إلى العاصمة المركزية[٣].

(1) See: Espesset, Grégoire “Criminalized Abnormality, Moral Etiolo- gy, and Redemptive Suffering in the Secondary Strata of the Tai- ping jing.” Asia Major Series 3. 15.2. (2005). 43.

(2) See: Lagerwey, John. “Zhengyi Register: Institute of Chinese Studies Visiting Professor Lecture Series (I).” Journal of Chinese Studies Special *Issue* (2005): 35-88.

(3) See: Bokenkamp. Stephen R, The Early Lingbao Scriptures and the Origins of Daoist Monasticism Cahiers d'Extrême-Asie. (2011). 95-124.

المطلب الرابع: موقف الإسلام من الثواب والعقاب في الفكر الطاوي

موقف الإسلام من البعث ومنكريه

الإسلام دين الرحمة والعدل، وقد عبر القرآن الكريم عن وجوب الإيمان بالبعث بدلالة قطعية في عدة آيات، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، وقال تعالى ردًا على مُنكري البعث: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]

﴿زَعَمَ﴾ الذين كفَروا باللَّهِ أن لن يَبْعَثَهم اللَّهُ إليه مِن قبورِهم بعدَ مماتِهم، وقوله: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ يقولُ لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم –: قل لهم يامحمدُ: بلى وربي لَتُبْعَثُنَّ من قُبورِكُم، ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ﴾ يقولُ ثمَّ لَتُخْبَرُنَّ بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا، ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يقولُ: وبَعْثكم من قبوركم من بعد مماتكم على الله سهلٌ هينٌ[1]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، وفي هذه الآية الكريمة نجد الخطاب العقلي لمنكري البعث، والجدال بالحسنى، وذلك من خلال تسليط الضوء على أمور حسية معلومة للجميع، ويستطيع كل من يرغب البحث بالمناهج التجريبية، أو من دعاة المادية أن يلتمسها، ويتدبر فيها، أما الطاوية فلا تؤمن ببعث أو حساب، ففي الطاوية فانٍ، وباق، فالفاني الإنسان[2]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٦]

موقف الإسلام من الثواب والعقاب، ونقد الطاوية

الثواب والعقاب في الإسلام ينطبق على الدنيا والآخرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "الثواب والعقاب يكونان من جنس العمل في قدر الله وفي شرعه، فإن هذا من العدل"[3]، وقال أيضًا: "اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ فِعْلَ الْعَبْدِ سَبَبًا مُقْتَضِيًا لِآثَارِ مَحْمُودَةٍ أَوْ مَذْمُومَةٍ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مِثْلُ صَلَاةٍ أَقْبَلَ عَلَيْهَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، أَخْلَصَ فِيهَا وَرَاقَبَ وَفَقِهَ مَا بُنِيَتْ عَلَيْهِ مِنْ الْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ يَعْقُبُهُ فِي عَاجِلِ الْأَمْرِ نُورٌ فِي قَلْبِهِ وَانْشِرَاحٌ فِي صَدْرِهِ وَطُمَأْنِينَةٌ فِي نَفْسِهِ وَمَزِيدٌ فِي عِلْمِهِ وَتَثْبِيتٌ فِي يَقِينِهِ وَقُوَّةٌ فِي عَقْلِهِ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قُوَّةِ بَدَنِهِ وَبَهَاءِ وَجْهِهِ وَانْتِهَائِهِ عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَإِلْقَاءِ الْمَحَبَّةِ لَهُ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ وَدَفْعِ الْبَلَاءِ عَنْهُ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَعْلَمُهُ وَلَا نَعْلَمُهُ".

---

(١) تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر: القاهرة، ط١، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ٩/٢٣.

(٢) انظر: أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة. أحمد بن عبدالغفور عطار. مكة المكرمة، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، (ص: ٥٤).

(٣) الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة في الإسلام. ابن تيمية. دار الكتب العلمية: (ص: ٥٧).

ثُمَّ هَذِهِ الْآثَارُ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ مِنْ النُّورِ وَالْعِلْمِ وَالْيَقِينِ وَغَيْرِ ذَلِكَ أَسْبَابٌ مُفْضِيَةٌ إلَى آثَارٍ أُخَرَ مِنْ جِنْسِهَا وَمِنْ غَيْرِ جِنْسِهَا أَرْفَعُ مِنْهَا وَهَلُمَّ جَرًّا؛ وَلِهَذَا قِيلَ: إنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا وَإِنَّ مِنْ عُقُوبَةِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ بَعْدَهَا وَكَذَلِكَ الْعَمَلُ السَّيِّئُ مِثْلُ الْكَذِبِ – مَثَلًا – يُعَاقَبُ صَاحِبُهُ فِي الْحَالِ بِظُلْمَةٍ فِي الْقَلْبِ وَقَسْوَةٍ وَضِيقٍ فِي صَدْرِهِ وَنِفَاقٍ وَاضْطِرَابٍ وَنِسْيَانِ مَا تَعَلَّمَهُ وَانْسِدَادِ بَابِ عِلْمٍ كَانَ يَطْلُبُهُ وَنَقْصٍ فِي يَقِينِهِ وَعَقْلِهِ وَاسْوِدَادِ وَجْهِهِ وَبُغْضِهِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ وَاجْتِرَائِهِ عَلَى ذَنْبٍ آخَرَ مِنْ جِنْسِهِ أَوْ غَيْرِ جِنْسِهِ وَهَلُمَّ جَرًّا، إلَّا أَنْ يَتَدَارَكَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ"(١)، وذلك تصديقًا لقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣:١٢٤].

فالإسلام أكد على أهمية الثواب والعقاب على الأعمال؛ للحفاظ على تماسك المجتمع، وسلامته من الخلل والانحرافات في الدنيا، وللفوز بالسعادة الأخروية التي أعدها الله لعباده الموحدين الذين آمنوا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، وآمنوا برسوله الكريم، أما الطاوية فنظرتها دنيوية بحتة، وهذه طبيعة الديانات الوضعية التي لا تؤمن بالله الواحد القهار، ولا تؤمن بالبعث والحساب، فترى –كما أسلفنا القول – أن المرض والموت المبكر في الدنيا عقاب، وأن في الصّحة والسلامة من الأمراض، وزيادة العمر ثوابٌ لصاحبه، فلا الطاوية أنصفت المريض الذي لا يرتكب الجرائم، ولا عاقبت المجرم الذي عاش حياته، وعمَّر بصحةٍ جيدة، وهذا من أهم الانتقادات التي تؤخذ عليها؛ لدعوة المغرَّر بهم؛ للفوز بالسعادة في الدارين الدنيا والآخرة من خلال الدخول في الإسلام عن يقين واقتناع.

خاتمة الدراسة:

توصلت الدراسة إلى النقاط التالية:

– ترتكز الطاوية على إنكار البعث، وفي ضوء ذلك نظرت للمرض والموت المبكر باعتباره من العقاب، بينما وجدت في الصحة، والعمر المديد ثوابًا لصاحبه.

– على مدى خمسة قرون، كانت الطاوية المبكرة مستقرة بشكل ملحوظ في أفكارها الأساسية حول أصول الشر والطريقة الصحيحة للتعامل معه، فالشر هو في الأساس أي شيء يقوض الحياة، أو ينافيها، والحياة هي الخير الأسمى، ويجب فعل كل شيء لتأمينها وحتى توسيعها من خلال مراعاة المحظورات، والممارسات التأملية، وإرسال الالتماسات المكتوبة، والاعترافات.

– علاوة على ذلك، في وقت مبكر جدًا أُضيف بعد أخلاقي مكثف إلى ما يعنيه التكريس للحياة بالنظر إلى فكرة الخطيئة، والذنب، والديون، والمسؤولية الشخصية، حيث يتم تصور بيروقراطية هائلة تتجسس على البشر وتبلغ عن أفعالهم إلى الأرشيف المركزي، وبالتالي فإن ما يحدث للمرء هو مسؤوليته الخاصة، فإذا واجه المرء حظًا سيئًا أو مرضًا، فذلك؛ لأنه مذنب، ويجب الاعتراف بالأخطاء المسببة للذنب وإصلاحها أو التعويض عنها.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة، (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م)، ٣٩٦/٨.

– أحد الأساليب التي تم اتباعها هو توفير مأدبة "للمستحقين" في مجتمع الطاويين؛ والآخر هو الدفع مقابل البدء في مستوى أعلى من القوة الروحية، ومن ثم يمكن القول أن الاعتراف والتعويض هما الطريقتان الأساسيتان للتعامل مع الأحداث السلبية التي تهدد الحياة.

توصيات الدراسة:

أوصي بدراسة الموضوعات الدقيقة في العقائد والديانات الوضعية؛ لتسليط الضوء عليها، والكشف عن قناعات أصحابها، وبالتالي وضع تصور صحيح لما يفكربه منكروا البعث، ونقده، هذا والحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الأديان في الصين. سانغ جي، ترجمة تشنغ بوه، وآخرون. دار النشر الصينية عبر القارات: (٢٠٠٤م).

أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة. أحمد بن عبدالغفور عطار. مكة المكرمة، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. (ت: ٣١٠هـ). تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر: القاهرة، ط١، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة في الإسلام. ابن تيمية. دار الكتب العلمية.

الطريق إلى الفضيلة. لاو تسي، ترجمة علاء الديب. الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، (١٩٩٨م).

فصول من الفلسفة الصينية: مع النص الكامل لكتاب الحوار لكونفوشيوس وكتاب منشيوس. فراس السواح، مؤسسة هنداوي: (٢٠٢٢م).

فلسفة الأخلاق بين الكونفوشيوسية والطاوية دراسة مقارنة. تانغ شيومي – بروفيسورة بقسم اللغة العربية بكلية الدراسات الآفروآسيوية – بجامعة الدراسات الدولية بشيآن جمهورية الصين الشعبية – **مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية**، يناير (٢٠٢١).

مجموع الفتاوى لابن تيمية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة، (١٤٢٥هـ– ٢٠٠٥م).

المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام، ومراجعة د. عبدالغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة: الكويت، مايو (١٩٩٣م).

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة د.مانع بن حماد الجهني دارالندوة العالمية للطباعة والنشر: (١٤٢٠هـ).

Arthur P. Wolf, Religion and Ritual in Chinese Society, Stanford: Stanford University Press, 1974.

Bokenkamp. Stephen R, The Early Lingbao Scriptures and the Origins of Daoist Monasticism Cahiers d'Extrême-Asie. (2011).

Espesset, Grégoire “Criminalized Abnormality, Moral Etiolo- gy, and Redemptive Suffering in the Secondary Strata of the Tai- ping jing.” Asia Major Series 3. 15.2. (2005).

Harper, Donald. “Contracts with the Spirit World in Han Common Religion: The Xuning Prayer and Sacrifice Documents of A.D. 79.” Cahiers d’Extrême-Asie. (2004).

Kaltenmark, Max, “The Ideology of the T’ai-p’ing ching.” In: Holmes Welch and Anna Seidel (eds.). Facets of Taoism: Essays in Chinese Religion. New Haven: Yale University Press. (1979).

Lagerwey, John. “Zhengyi Register: Institute of Chinese Studies Visiting Professor Lecture Series (I).” Journal of Chinese Studies Special Issue (2005).

Lao Tzu: Tao Te Ching; translated with an introduction by D. C. Lau. Penguin Books, Middlesex.- New York: Columbia University Press , 1978.

STANFORD ENCLOPEDIA OF PHILOSOPHY, *Metaphysics in Chinese Philosophy*, *First* published Thu Apr 2, 2015; substantive revision Mon Oct 16, (2023). https://plato.stanford.edu/search/r?entry=/entries/chinese-metaphysics/

Sung-peng Hsu" Lao Tzu's conception of evil ", Philosophy East and West, (1976).

Religions in China, Sang Ji, translated by Cheng Bo, et al., Chinese Transcontinental Publishing House, (2004) AD.

The most correct religion for humanity: Doctrine and Sharia, Ahmed bin Abdul Ghafour Attar, Mecca Al-Mukarramah 1400 AH / (1980) A.

Tafsir al-Tabari, “Jami’ al-Bayan on the Interpretation of Verses of the Qur’an, by Abu Jaafar Muhammad bin Jarir al-Tabari (d. 310 AH), edited by Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, Dar Hijr for Printing and Publishing - Cairo, first edition 1421 AH/2001 AD.

Hisba in Islam or the function of government in Islam, Ibn Taymiyyah, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

The Path to Virtue, Laozi, translated by Alaa El-Deeb, Egyptian General Book Authority, Cairo, (1998).

Chapters from Chinese Philosophy: With the Complete Text of the Dialogue of Confucius and the Book of Mencius, Firas Al-Sawah, Hindawi Foundation, (2022) edition.

The philosophy of morals between Confucianism and Taoism, a comparative study, Tang Xiomi - Professor in the Department of Arabic Language at the College of Afro-Asian Studies - University of International Studies in Xi'an, People's Republic of China - Nile Valley Journal for Human, Social and Educational Studies and Research, January 2021 issue.

Collection of Fatwas by Ibn Taymiyyah, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an - Medina, 1425 AH – (2005) AD.

Religious beliefs among peoples, Jeffrey Barender, translated by Dr. Imam Abdel Fattah Imam, reviewed by Dr. Abdul Ghaffar Makkawi, World of Knowledge Series - Kuwait, May (1993).